إكرام الله لرسوله ﷺ

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام علي سيدنا رسول الله وعلي آله وصحبه ومن والاه وبعد .

فيقول المولي عز وجل ﴿ ولسوف يعطيك ربك فترضي.ألم يجدك يتيما فآوي.ووجدك ضالا فهدي.ووجدك عائلا فأغني ﴾ (الضحي ٥،٦،٧،٨) .

لقد أكرم الله رسوله سيدنا محمدا ﷺ بما لا يحصي من النعم الظاهرة والباطنة. وذكر منها العديد في القرآن الكريم. كما ذكر منها المصطفي ﷺ العديد في سنته. تحدثا بنعمة الله تعالي.

فهو ﷺ سيد الأولين والآخرين. وأفضل خلق الله أجمعين. وفي هذه الآيات من سورة الضحي حديث عن طرف من نعمه سبحانه وتعالي عليه فالمولي عز وجل وعده بأنه سيعطيه حتي يرضي .

وأنعم بها من بشارة من الملك الحق المبين في صدر الدعوة وأول الرسالة والبشارة لها في النفس البشرية آثار عظيمة .

فما هو الحال إذا كانت من الملك الحق المبين الذي لا تنفد خزائنه. وقوله الحق ووعده الصدق .

وعطاءه سبحانه لرسوله ﷺ الذي يرضيه يتسع لعطاء الله له في الدنيا والآخرة. وعطاء الله له ولأهل بيته وأمته كذلك.

فهو عطاء يتسع حتي يشمل الدنيا والآخرة. وحتي يشمل آله وأمته ومن عطائه له في الدنيا وهوعطاء لأمته ما فتح علي المسلمين من خزائن الأرض روي الإمام الأوزاعي بسنده عن ابن عباس عن أبيه قال: عرض علي رسول الله ﷺ ما هو مفتوح علي أمته بعده كنزا كنزا فسر بذلك وأعطاه الله في الجنة ألف قصر. في كل قصر ما ينبغي له من الأزواج والخدم. رواه ابن جرير وابن أبي حاتم. قال ابن كثير :هذا إسناد صحيح إلي ابن عباس. ومثل هذا لا يقال إلا عن توقيف أي عن سماع من المصطفي ﷺ .

ثم عدد المولي عز وحل بعد ذلك طرفا من نعمه المبكرة عليه منذ نشأته يقول

سبحانه ﴿**ألم يجدك يتيما فآوي**﴾ وذلك أن أباه توفي وهو حمل في بطن أمه. ثم توفيت أمه آمنة بنت وهب وله من العمر ست سنوات ثم كان في كفاله جده عبد المطلب إلي أن توفي وله من العمر ثماني سنوات فكفله عمه أبو طالب. ثم لم يزل يحوطه وينصره ويرفع من قدره ويوقره ويكف عنه أذي قومه بعد أن ابتعثه الله علي رأس أربعين سنة من عمره. هذا وأبو طالب علي دين قومه من عبادة الأوثان. وكل ذلك بقدر الله وحسن تدبيره .

ومن نعمه سبحانه وتعالي عليه ما ذكره سبحانه في قوله ﴿**ووجدك ضالا فهدي**﴾ قيل: ضل في شعاب مكة وهو صغير فهداه الله لمنزله. وقيل: ضل وهو مع عمه في طريق الشام. كان راكبا ناقه في الليل. فجاء إبليس فعدل بها عن الطريق وذلك قبل النبوة. فجاء جبريل فنفخ إبليس نفخة قذفه بها إلي الحبشة. ثم عدل بالرحلة إلي الطريق. حكاهما البغوي .

والراجح أن الآية أوسع من هذا أو تشمل أولا. هداية الله له بإنزال الوحي إليه. كما في قوله سبحانه ﴿**وكذلك أوحينا إليك روحا من أمرنا ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان. ولكن جعلناه نورا نهدي به من نشاء من عبادنا**﴾ ومن نعمه سبحانه وتعالي ما ذكره بقوله ﴿**ووجدك عائلا فأغني**﴾.

أي وجدك فقيرا فأغناك بالاتجارفي مال السيدة خديجة. وجمع الله له في هذه الآية بين مقامي الفقير الصابر. والغني الشاكر. صلوات الله وسلامه عليه. ويري البعض أن الغني هنا غني النفس بالقناعة. لقوله ﷺ ﴿**ليس الغني عن كثرة العرض ولكن غني النفس**﴾رواه الشيخان والآية تتسع لهذا وذاك .

٢ ـ ومن إكرام الله له الفتح المبين ومغفرة الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر. وإتمام النعمة عليه وهدايته الصراط المستقيم. ونصره ﷺ نصرا عزيزا .

يقول سبحانه ﴿**إنا فتحنا لك فتحا مبينا ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر ويتم نعمته عليه ويهديك صراطا مستقيما وينصرك الله نصرا عزيزا**﴾ (الفتح ١، ٣).

فقد جمع الله سبحانه له في هذه الآية بين العديد من النعم الدنيويه والأخروية وهي الفتح المبين. ومغفرة ما تقدم من ذنبه وما تأخر. وما له ﷺ ولا لأحد من إخوانه

من النبيين والمرسلين ذنوب. لا كبائر ولا صغائر. للعصمة ولكن لهم مزيد الترقي. فيستغفرون من عبادة منزلة ترقوا عنها إلي عبادة منزلة أعلي وصلوا إليها بفضل الله سبحانه. فالآية من باب حسنات الأبرار سيئات المقربين. وفى الآية امتنان الله عليه بإتمام نعمه عليه. وهدايته الصراط المستقيم. وهو طريق الحق الموصل إلي مرضاة الله عز وجل. الذي يسأله كل مسلم ومسلمة في كل ركعة. قائلا ﴿اهدنا الصراط المستقيم. صراط الذين أنعمت عليهم. غير المغضوب عليهم ولا الضالين﴾.

٣ ـ ومن إكرام الله له شرح صدره ورفع ذكره .

يقول تعالي ﴿ألم نشرح لك صدرك ووضعنا عنك وزرك الذي أنقض ظهرك ورفعنا لك ذكرك﴾ (سورة الشرح الآيات ١، ٤) .

وشرح الصدر: هو تنويره وجعله فسيحا رحيبا واسعا .

ومن جملة شرح صدره ما فعل بصدره ليلة الإسراء. وفي صغره وهو في الصحراء روي الإمام أحمد بسنده في مسنده عن أبي بن كعب أن أبا هريرة كان جريئا علي سؤال رسول ﷺ عن أشياء لا يسأله عنها غيره.

فقال يا رسول الله ما أول ما رأيت من أمر النبوة ؟. فاستوي رسول الله ﷺ جالسا. وقال: «لقد سألت يا أبا هريرة. إني في الصحراء ابن عشر سنين وأشهر. وإذا بكلام فوق رأسي. وإذا رجل يقول لرجل أهو هو ؟.

فاستقبلاني بوجوه لم أرها قط. وأرواح لم أجدها من خلق قط. وثياب لم أرها علي أحد قط. فأقبلا إلي يمشيان حتي أخذ كل واحد منهما بعضدي. لا أجد لأحدهما مسا. فقال أحدهما لصاحبه أضجعه فأضجعاني بلا قصر ولا هصر .

فقال أحدهما لصاحبه: افلق صدره. فهوي أحدهما إلي صدري ففلقه فيما أري بلادم ولا وجع. فقال له: أخرج الغل والحسد. فأخرج شيئا كهيئه العلقه ثم نبذها فطرحها. فقال له: أدخل الرأفة والرحمة. فإذا مثل الذي أخرج شبه الفضة. ثم هز إبهام رجلي اليمني. فقال: أغد واسلم. فرجعت بها أغدو رقة علي الصغير ورحمة للكبير».

وأما قوله ﴿ووضعنا عنك وزرك﴾ فهي بمعني: «ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر» .

ورفع ذكره ﷺ من أجل نعم الله عليه . قال مجاهد : معناه. لا أذكر إلا ذكرت معي. أي في الشهادتين. أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن سيدنا محمدا رسول الله. فلا تقبل الأولي إلا بالثانية. قال قتادة : فليس خطيب ولا متشهد ولا مصل إلا وينطق بهما مقترنتين . وقال بعض العلماء : رفع ذكره في الأولين والآخرين ونوه به حين أخذ الميثاق علي جميع النبيين أن يؤمنوا به وأن يأمروا أممهم بالإيمان به. ثم شهد ذكره في أمته فلا يذكر الله إلا ذكر معه .

٤ ـ ومن إكرام الله له تشريفه بالإسراء والمعراج. ورؤيته لربه. ومناجاته له. قال تعالي ﴿سبحان الذي أسري بعبده ليلا من المسجد الحرام إلي المسجد الأقصي﴾ وقال تعالي ﴿وجوه يومئذ ناضرة إلي ربها ناظرة﴾.

روي الإمام مسلم في صحيحه بسنده عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : «أتيت بالبراق وهو دابة أبيض طويل فوق الحمار ودون البغل يضع حافره عند طرفه. قال : فركبته حتي أتيت بيت المقدس فربطته بالحلقة التي يربط بها الأنبياء. ثم دخلت المسجد فصليت فيه ركعتين . ثم خرجت. فجاءني جبريل بإناء من خمر وإناء من لبن. فاخترت اللبن. فقال جبريل: اخترت الفطرة .

ثم عرج بنا إلي السماء فاستفتح جبريل. فقيل من أنت ؟. قال: جبريل. قيل: ومن معك ؟ قال محمد. قيل : وقد بعث إليه ؟. قال قد بعث إليه . ففتح لنا. فإذا أنا بآدم ﷺ فرحب بي ودعا لي بخير . . . .» الحديث وفيه ثم عرج به ﷺ إلي السموات السبع سماءاً بعد سماء وفي كل سماء يلقي بعض إخوانه من النبيين والمرسلين ويسلم عليهم ويدعون له بخير. إلي أن وصل إلي سدرة المنتهي. فأوحي الله إليه ما أوحي. ففرض الله عليه خمسين صلاة في كل يوم وليلة. ثم خففت إلي خمس. فرضها الله عليه بدون واسطة. فرأي ربه وناجاه. فجمع الله له بين الرؤية في الدنيا والمناجاة .

٥ ـ ومن إكرام الله له تشريفه بتخصيصه بالشفاعة العظمي. وهي المقام المحمود. قال تعالي ﴿ومن الليل فتهجد به نافلة لك عسي أن يبعثك ربك مقاماً محموداً﴾ (الاسراء ٧٩)

قال ابن جرير : قال أكثر أهل التأويل : المقام المحمود : هو المقام الذي يقومه

ابن كثير حـ ٢ صـ ٤٦٨ .

المصطفي ﷺ يوم القيامة للشفاعة العظمي للناس ليريحهم ربهم من عظيم ما هم فيه من شدة ذلك اليوم. فيقبل الله شفاعته .

روي الإمام أحمد بسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : «أتي رسول الله بلحم. فرفع إليه الذراع وكانت تعجبه فنهس منها نهسه ثم قال: «أنا سيد الناس يوم القيامة. هل تدرون مم ذاك ؟. يجمع الله الأولين والآخرين في صعيد واحد. يسمعهم الداعي وينفذهم البصر. وتدنو الشمس فيبلغ الناس من الغم والكرب ما لا يطيقون ولا يتحملون» .

فيقول بعض الناس لبعض: ألا ترون ما أنتم فيه. ألا تنظرون من يشفع لكم إلي ربكم ؟. فيقول بعض الناس لبعض: عليكم بآدم فيأتون آدم عليه السلام فيقولون: ياآدم أنت أبو البشر خلقك الله بيده ونفخ فيك من روحه وأمر الملائكة فسجدوا لك. فاشفع لنا إلي ربك ألا تري ما نحن فيه ألا تري ما قد بلغنا ؟. فيقول آدم: إن ربي قد غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله. وإنه قد نهاني عن الشجرة فعصيت. نفسي نفسي نفسي. أذهبوا إلي غيري اذهبوا إلي نوح ..... الحديث .

وهكذا تتجه الخلائق إلي رسل الله رسولا بعد رسول فذهبت إلي نوح ثم إلي إبراهيم ثم إلي موسي ثم إلي عيسي. والكل يذكر عذرا خاصا به يمنعه من القيام بالشفاعة العظمي. مع العذر العام. وهو غضب الجبار غضبا لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله «فيأتون محمدا ﷺ. فيقولون: يا محمد أنت رسول الله وخاتم الأنبياء. وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر. فاشفع لنا إلي ربك ألا تري ما نحن فيه ألا تري ما قد بلغنا ؟. يقول ﷺ «فآتي تحت العرش فأقع ساجدا لربي عز وجل ثم يفتح الله عليّ ويلهمني من محامده وحسن الثناء عليه ما لم يفتحه علي أحد قبلي فيقول: يا محمد ارفع رأسك. وسل تعطه. واشفع تشفع. فأرفع رأسي وأسأل الله الشفاعة في فصل القضاء ـ أي بدء الحساب للخلاص من شدة الموقف .

هذا وقد ذكر الإمام الحافظ ابن كثير في تفسيره حـ ٣ صـ ٥٥. طرفا من تشريف الله له يوم القيامة. يقول الإمام ابن كثير: «لرسول الله ﷺ تشريفات يوم القيامة لا يشركه فيها أحد. وتشريفات لا يساويه فيها أحد .

فهـو أول من تنشق عنه الأرض. ويبعث راكـبا إلي المحشـر. وله اللواء الذي آدم فمن دونه تحت لوائـه. وله الحوض الذي ليس في الموقف أكثـر واردا منه. وله الشفـاعة العظمي ـ تلك التي نسبق الحديث عنها مباشرة ـ

ومن شفـاعاته أنه يشفع في أقوام قـد أمر بهم إلي النار فيـردون عنها. وهو أول الأنبياء يقضي بين أمته. وأولهم إجـازة علي الصراط بأمته. وهو أول شفيع في الجنة وفي حديث الصور أن المؤمنين كلهم لا يدخلون الجنة إلا بشفاعته. وهو أول داخل إليها وأمته قبل الأمم كلهم. ويشفع في درجات أقوام لا تبلغها أعمالهم. وهو صاحب الوسيلة التي هي أعلي منزلة في الجنة لا تليق إلا له .

وإذا أذن الله تعالي في الشفاعة للعصاة شفع الملائكة والنبيون والمرسلون والمؤمنون فيشفع هو في خلائق لا يعلم عدتهم إلا الله تـعالي. ولا يشفع أحد مثله ولا يساويه في ذلك» ا . هـ ابن كثير .

٦ ـ ومن إكرام الله لنبينا ﷺ أنه جعله رحمة للعالمين . قال تعالي **﴿وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين﴾** (الأنبياء ١٠٧) .

فكانت حياته رحمة ومماته رحمة كما قال ﷺ «حياتي خير لكم تحدثون ويحدث لكم فإذا أنا مت كانت وفاتي خـيرا لكم تعرض علي أعمالكم فإن رأيت خـيرا حمدت الله وإن رأيت شرا استـغفرت لكم» ابن سعـد عن بكر بن عبد الله ـ مرسـلا ـ وحسنه السيوطي . حـ ١ صـ ٢٥٦ .

فمن أصـابه شيء من رحمـته فهـو الناجي في الدارين من كل مكروه. والواصل فيهما إلي كل محبوب وهو ﷺ رحمة لجـميع الخلائق للمؤمنين رحمة بالهداية. ورحمة للمنافق بالأمان من القتل. ورحمة للكافرين بتأخير العذاب. أي العام الشامل كإغراق قوم نوح . وقلب قري قوم لوط .

وحكي أن النبي ﷺ قال لسيدنا جبـريل هل أصابك من هذه الرحمة شيء قال: نعم كنت أخشي العاقبة. فأمنت لثناء الله عز وجل عليّ بقوله **﴿ذي قوة عند ذي العرش مكين مطاع ثم أمين﴾** وقال ﷺ: «إنما أنا رحمة مهداة» صححه السيوطي الجامع الصغير حـ ١ صـ ١٧٧ .

٧ ـ ومن إكرام الله لرسوله ﷺ أنه سماه نورا قال تعالي ﴿قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين﴾ (المائدة ١٥) .

كما سماه سراجا منيرا قال تعالي ﴿يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وداعيا إلي الله بإذنه وسراجا منيرا﴾ .

ويقول الألوسي : «بل هو نور عظيم. وهو نور الأنوار والنبي المختار ﷺ وإلي هذا ذهب قتادة. واختار الزجاج . وقال تعالي ﴿الله نور السموات والأرض مثل نوره كمشكاة فيها مصباح..﴾ .

قال كعب الأحبار وابن جبير: المراد بالنور الثاني في الآية محمد ﷺ فقوله ﴿مثل نوره﴾ أي نور محمد. وقال سهل بن عبد الله: المعني: الله هادي أهل السموات والأرض ثم قال: مثل نور محمد إذ كان مستودعا في الأصلاب كمشكاة صفتها كذا. . راجع الشفاء للقاضي عياض حـ ١ صـ ١٠، ١١ .

وقال مجاهد: كان رسول الله ﷺ إذا قام في الصلاة يري من خلفه كما يري من بين يديه. وبه فسر قوله تعالي ﴿وتقلبك في الساجدين﴾أي تقلب نظره في الساجدين خلفه.

وفي الموطأ عنه عليه الصلاة والسلام: «إني لأراكم من وراء ظهري»ونحوه عن أنس في الصحيحين. وفي بعض الروايات «إني لأنظر من ورائي كما أنظر من بين يدي». وفي أخري «إني لأبصر من قفاى كما أبصر من بين يدي» .

وكل هذا يرجح ما ذهب إليه شيخ المفسرين من أنه نور عظيم. وهو نور الأنوار» وهذا لا يخرجه عن البشرية ﷺ. فهو نور خلقه الله عز وجل .

٨ ـ ومن إكرام الله لرسوله ﷺ تفضيله صلي الله علي جميع خلق الله. فهو ﷺ أفضل خلق الله أجمعين. وسيد النبيين وإمام المرسلين. قال ﷺ: «فضلت علي الأنبياء بست. أعطيت جوامع الكلم ونصرت بالرعب. وأحلت لي الغنائم. وجعلت لي الأرض مسجدا وطهورا. وارسلت إلي الخلق كافة. وختم بي النبيون» رواه مسلم .

وقال ﷺ : « أنا سيد ولد آدم يوم القيامة. وأول من ينشق عنه القبر. وأول شافع وأول مشفع» رواه مسلم .

ومن إكرام الله تعالي لنبيه ﷺ تفضيله علي جميع المرسلين. بعموم بعثته للإنس والجن من لدن بعثته إلي قيام الساعه. قال تعالي ﴿وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيرا ونذيرا﴾ وقال تعالي ﴿تبارك الذي نزل الفرقان علي عبده ليكون للعالمين نذيرا﴾. وقال تعالي ﴿قل أوحي إلي أنه استمع نفر من الجن فقالوا إنا سمعنا قرآنا عجبا يهدي إلي الرشد فآمنا به﴾ .

وقال ﷺ «لا يسمع بي رجل من هذه الأمة يهودي ولا نصراني ثم لا يؤمن بي إلا دخل النار» رواه مسلم .

٩ ـ ومن إكرام الله لرسوله ﷺ أخذه سبحانه علي النبيين والمرسلين الإيمان به ﷺ ونصرته علي من يدركه منهم .

قال تعالي ﴿وإذا أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه. قال أأقراتم وأخذتم علي ذلكم إصري قالوا أقررنا قال فاشهدوا وأنا معكم من الشاهدين» .

قال المفسرون: أخذ الله الميثاق بالوحي فلم يبعث نبيا إلا ذكر له محمدا ونعمته وأخذ عليه ميثاقه إن أدركه ليؤمنن به. وقيل: أن يبينه لقومه ويأخذ ميثاقهم أن يبينوه لمن بعدهم .

قال تعالي مشيرا إلي ذلك علي لسان السيد المسيح عيسي بن مريم عليه وعلي نبينا الصلاة والسلام: ﴿ومبشرا برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد﴾ .

قال الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه وكرم وجهه: لم يبعث الله نبيا من آدم فمن بعده إلا أخذ عليه العهد في محمد ﷺ لئن بعث وهو حى ليؤمنن به ولينصرنه. ويأخذ العهد بذلك علي قومه .

١٠ ـ ومن إكرام الله لرسوله ﷺ ابتعاثه تعالي له آخر الأنبياء وذكره له أولهم. قال تعالي: ﴿وإذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح﴾ وقال قتادة: إن النبي ﷺ قال: كنت أول الأنبياء في الخلق وآخرهم في البعث». وقال ﷺ: كنت نبيا وآدم منجدل في طينته .

وقال ﷺ: «أول ما خلق الله نور نبيك يا جابر».

١١ ـ ومن إكرام الله لرسوله ﷺ جعل طاعته ﷺ طاعه لله. قال سبحانه: ﴿من يطع الرسول فقد أطاع الله﴾ .

وذلك لأنه ﷺ لا ينطق عن الهوي إن هو إلا وحي يوحي .روي ابن ابي حاتم بسنده عن أبي هريره عن رسول الله ﷺ قال : «من أطاعني فقد أطاع الله ومن عصاني فقد عصي الله . ومن أطاع الأمير فقد أطاعني . ومن عصي الأمير فقد عصاني » قال ابن كثير : ورواه الشيخان أيضا .

وفي بعض الآثار عن مقاتل في سبب نزول الآية : أن النبي ﷺ كان يقول :«من أحبني فقد أحب الله تعالي. ومن أطاعني فقد أطاع الله تعالي ». فقال المنافقون : ألاتسمعون إلي ما يقوله هذا الرجل. لقد قارف الشرك. وهو قد نهي أن يعبد غير الله تعالي. ما يريد إلا أن نتخذه ربا كما اتخذت النصاري عيسي عليه السلام.؟. فنزلت.

١٢ - ومن إكرام الله لرسوله ﷺ تكميل الله له خُلقه ثم ثناءه عليه بذلك. قال عز من قائل ﴿وإنك لعلي خلق عظيم﴾ وقال ﷺ :«انما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق» وسئلت أمنا السيدة عائشة عن خلقه ﷺ فقالت: «كان خلقه القرآن»ولا يتسع هذا المقام لتفصيل الكلام عن خلقه ﷺ .وخلقه القرآن. فبحسبي أن أذكر طرفا مما كمله الله به وأكرمه. فقد جمله مولاه بخلق الحلم فما من حليم إلا وقد عرفت منه زلة. وحفظت عنه هفوة. وهو ﷺ لا يزيد مع كثرة الأذي إلا صبرا. وعلي إسراف الجاهل إلا حلما.

روي أن النبي ﷺ لما كسرت رباعيته وشج وجهه يوم أحد شق ذلك علي أصحابه. وقالوا: لو دعوت عليهم. فقال ﷺ :«إني لم أبعث لعانا» ولكني بعثت داعيا ورحمة اللهم اهد قومي فإنهم لا يعلمون».

وقال عمر رضي الله عنه :«بأبي أنت وأمي يا رسول الله لقد دعا نوح علي قومه فقال: رب لا تذر على الأرض من الكافرين ديارا». ولو دعوت علينا مثلها لهلكنا جميعا. فلقد وطيء ظهرك وأدمى وجهك وكسرت رباعيتك فأبيت أن تقول إلا خيرا. فقلت: اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون» .

وجمله مولاه كذلك بخلق الجود والكرم. قال ابن عباس: كان رسول الله ﷺ

أجود الناس. وكان أجود ما يكون في رمضان حين يلقاه جبريل وكان يلقاه في كل ليلة من ليالي رمضان فيدارسه القرآن. فلرسول الله ﷺ أجود بالخير من الريح المرسلة» .

وعن أنس أن رجلا سأله فأعطاه غنما بين جبلين فرجع إلي قومه وقال: أسلموا فإن محمدا يعطي عطاء من لا يخشي فاقة .

وجمله مولاه وأكرمه بخلق الشجاعة. فقد حضر المواقف الصعبة. وفر الكماة والأبطال عنه مرة. وهو ثابت لا يبرح. ومقبل لا يدبر. وما شجاع إلا وقد أحصيت له فرّة سواه ﷺ .

وقال علي رضي الله عنه: «إنا كنا إذا اشتد البأس واحمرت الحدق اتقينا برسول الله ﷺ . فما يكون أحد أقرب إلي العدو منه ولقد رأيتني يوم بدر ونحن نلوذ بالنبي ﷺ وهو أقربنا إلي العدو وكان من أشد الناس يومئذ بأسا» .

وعن أنس كان النبي ﷺ أحسن الناس وأجود الناس وأشجع الناس لقد فزع أهل المدينة ليلة. فانطلق ناس قبل الصوت فتلقاهم رسول الله ﷺ راجعا قد سبقهم إلي الصوت. وقد استبرأ الخبر علي فرس لأبي طلحة عري والسيف فى عنقه. وهو يقول: لن تراعوا» .

والحديث عن أخلاقه ﷺ التي كان عليها. وكان بها نموذجا حيا للقرآن الكريم لتقتدي به أمته حديث طويل. لا يتسع المقام للإحاطة به. بل ولا سبيل للإحاطة به فكيف نحيط علما بأخلاق القرآن الكريم. وهو كلام الحكيم العليم. والذي لا يخلق علي كثرة الرد ولا تنفد عجائبه .

١٣ ـ ومن إكرام الله لرسوله ﷺ أنه جعله أمانا لأمته من العذاب العام الشامل. عذاب الإبادة. كإغراق قوم نوح. وإهلاك عاد وثمود وقوم لوط. قال تعالي **﴿وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم وما كان الله معذبهم وهو يستغفرون﴾** كما جعله أمانا لأمته كذلك من العذاب الخاص بتسليط أعدائهم عليهم. يقتلونهم ويأخذون أموالهم.

قال القاضي عياض في الشفاء: قال الله تعالي **﴿وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم﴾** أي ما كنت بمكة. فلما خرج النبي من مكة وبقي فيها من بقي من المؤمنين، نزل قوله تعالي **﴿وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون﴾** .

فلما هاجر المستضعفون من المؤمنين نزل قوله تعالي ﴿**وما لهم ألا يعذبهم الله وهم يصدون عن المسجد الحرام وما كانوا أولياءه إن أولياءه الا المتقون**﴾.

وهذا واضح في إظهار مكانته ﷺ ودرئه العذاب عن أهل مكة بسبب وجوده بينهم. ثم درء العذاب عنهم بعده بسبب وجود أصحابه بينهم من المستضعفين العاجزين عن الهجرة بسبب كونهم يستغفرون الله .

فلما خلت مكة من المسلمين عذب الله أهلها من الكافرين بتسليط المؤمنين عليهم وغلبتهم لهم قال رسول الله ﷺ :«أنزل الله علي أمانين لأمتي»وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون» فإذا مضيت تركت فيكم الاستغفار».

وقال بعض الأئمة: الرسول ﷺ هو الأمان الأعظم ما عاش وما دامت سنته باقية فهو باق. فإذا أميتت سنته فانتظروا البلاء والفتن .

وفي هذه الآية أعلمنا الله بأنه ﷺ أمان لأمته. وفهم بعض العلماء السابق لها أن بقاء العمل بسنته بقاء له. فهو باق ﷺ فينا ما عملنا بسنته .

كما أعلمنا الله أن الاستغفار أمان آخر من العذاب للأمة. فعلي المسلمين أن يتمسكوا بهذين الأمانين العمل بسنته. وهو يشمل العمل بالإسلام كله. فلا سبيل للعمل بالسنة بدون العمل بالقرآن .

والاستغفار يدخل في العمل بسنته. ولكنه ﷺ يحثنا بهذا علي الإكثار منه في الليل والنهار والسر والإعلان. فله مزيد فضل في حفظ الأمة .

١٤ ـ ومما أكرمه الله عز وجل به تشريعه سبحانه الصلاة والسلام عليه وجعل الصلاة والسلام عليه فرضا يجب أداؤه .

قال تعالي ﴿**إن الله وملائكته يصلون علي النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما**﴾ .

وفي هذه الآية أظهر الله فضل نبيه ﷺ بصلاته سبحانه عليه ثم بصلاة ملائكته عليه كذلك. ثم بأمر عباده بالصلاة والتسليم عليه .

وقد حكي أبو بكر بن فورك أن بعض العلماء تأول قوله ﷺ :«وجعلت قرة

عيني في الصلاة علي هذا أي في صلاة الله تعالي عليّ وملائكته وأمره الأمة بذلك إلي يوم القيامة. هذا والصلاة من الله تعالي علي رسوله رحمة. ومن الملائكة استغفار ومن المؤمنين دعاء .

ومما أكرمه سبحانه وتعالي به صلاته سبحانه عشرا على من صلى عليه عليه الصلاة والسلام واحدة. قال ﷺ :«من صلي علي صلاة صلى الله عليه بها عشرا» رواه مسلم

هذا ولا يتسع المقام لاستيعاب جميع ما أكرمه الله عز وجل وبه .

و الله أعلم .